﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: 4]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تقريرُ توحيدِ الله يدلُّ على إبطال صفة الإلهيَّة عن غير الله تعالى

لمّا قرَّر الله تعالى الأصلَ الدّالَّ على التَّوحيد وإثبات العدل والرَّحمة بالبعث للفصل، وكان الكفّار يدَّعون في أصنامِهم أنَّهم شركاء لله تعالى، وأنَّها هي الَّتي تدفع عنهم الضُّرَّ؛ إن أصابَهم، أو توعَّدوا به؛ بنى على ذلك الأصل تفاريعَه، وبدأ بإبطال متمسَّكهم في إلهيَّة أصنامِهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ[1].

وأيضًا لمّا قرَّر الله تعالى الأصلَ الدّالَّ على إثبات كونِه تعالى خلقَ العالمَ بمقتضى الحقِّ والحكمةِ والعدل، وعلى إثبات البعثِ ويوم القيامة؛ بنى عليه التَّفاريع، فالفرع الأوَّل تقريرُ التَّوحيد وإبطال الإشراك - الَّذي هو أصل ضلالِ الكافرين - بإبطال صفة الإلهيَّة عن الأصنام الَّتي يعبدونها، وإبطال استحقاقِها للعبادة، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرَءَيْتُم﴾: أصل لفظ رأى يدلُّ عَلى نَظَرٍ وإبصارٍ بِعَينٍ أو بَصِيرَةٍ[2]، والرُّؤيَةُ: إدراك المرئيِّ، وأصله أن يكون بحاسَّة البصر، ورأى إذا عدّي إلى مفعولين؛ اقتضى معنى العلم، ويجري (أرأيتَ) مجرى أخبرني، ويلزم حينئذٍ فتح التّاء مفردةً على كل حالٍ، ومنه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 123.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رأى).

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ [الإسراء: 62]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩﴾ [العلق: 9]، ويفيد (أرأيت) الَّذي بمعنى: أخبرني معنى التَّنبيه، أي: تنبيه المخاطَب، و﴿أَرَءَيْتُم﴾ في الآية بمعنى: أخبروني[1].

2) ﴿أَثَرَةٍ﴾: الأثر: حصولُ ما يدلُّ على وجودِ شيءٍ، ومنه: أثرُ البعيرِ والرَّجلِ، يقالُ: إثْرٌ وأثَرٌ، ومنه أثَرُ السُّجودِ في الجبهة، والجمع آثار[2]، وكلُّ ما يُروى، أو يُكتب، فيبقى له أثر، فهو من الآثار[3]، وقال الخليل: الأثَرُ بَقيَّةُ ما يُرَى مِن كُلِّ شَيءٍ، والأثارَةُ: البَقِيَّةُ مِنَ الشَّيءِ، والجَمعُ أثاراتٌ[4]، والمآثر: ما يُروى من مكارم الإنسان، والاستئثار: التَّفرُّد بالشَّيء من دون غيره، وتأتي أثارة بمعنى علامة مِن عِلم، و بقيَّة من علم، وما يؤثر من علم[5]، و﴿أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بمعنى: بقيَّة من علمٍ تُرْوى عن الأوَّلين[6].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ الدَّليل العقلي والسَّمعي على أنَّ الجماد لا يمكن أن يُدعى من دون الله

يأمرُ الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يوبِّخ المشركين، ويقيم عليهم الحجَّة، ويبيِّن بطلان ما هم عليه، فيقول: قل يا محمَّد لهؤلاء الكفّار بالله سبحانه من قومك: أرأيتم الآلهة الَّتي تعبدون من دون الله سبحانه: أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض، فإنَّ ربّي خلق الأرض كلَّها، أم لآلهتكم شرك في خلْقِ السَّماوات السَّبع، جيئوني بكتاب من قبل هذا القرآن فيه أنَّ آلهتكم خلقت شيئًا من السَّماوات والأرضين، أو جيئوني ببَقِيَّةٍ مِن عِلْمٍ يُؤْثَرُ على الأوَّلِينَ، تخبر أنَّ آلهتكم خلقت شيئًا، أو لها شرك في شيء؛ إن كنتم صادقين في عبادتكم إيّاها،

(1) الرّاغب، المفردات: (أثر)، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 2/ 56.
(2) الرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أثر).
(3) الرّاغب، المفردات: (أثر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثر).
(5) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 438.
(6) ابن قتيبة، غريب القرآن، تح: صقر، ص: 407.

وفي دعواكم لها ما تدَّعون، فيكون لكم بذلك حجَّة؛ فإنَّ الدَّعوى إذا لم يكن معها حجَّة، لم تُغنِ عن المدَّعي شيئًا[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### نكتةُ فصل الآية عن سابقتها:

جاءت هذه الآية مفصولةً عن الآية السّابقة؛ لأنَّها إنشائيَّة، وما سبقتها كانت إخباريَّة، ولا يجوز عطف الإنشائيَّة على الخبريَّة أو العكس، إلّا إذا آلت إحدى الجملتَيْن لمعنى الأخرى، فضلًا عن أنَّ سبب الفصل قد يكون للاستئناف البيانيِّ؛ جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ: فماذا كان ردُّ الله عليهم بسبب إعراضهم؟.

تـرْكُ العطفِ بيِّنُ الجمالِ، إمّا لاتِّصال الآية لغاية، أو انفصالها لغاية، أو لما هو بينهما

### نكتةُ الانتقالِ إلى الخطاب المباشر:

انتُقِلَ بالكلام إلى طريق الخطاب في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾؛ لأنَّ الكلام جاء على طريق المناظرة والمحاجة؛ لإبطال نفي صفة الألوهيَّة عن أصنامِهم، وطريق المحاجة مواجهة الخصوم الَّذين يشركون بالله تعالى؛ لإثبات عجزِهم المقتضي سكوتهم عن الجواب ووجومهم، فجعل النَّبيَّ ﷺ مواجهًا لَهُم بالاحتِجاجِ؛ لِيكونَ إلجاءً لَهُم إلى الاعترافِ بِالعَجْزِ عَن مُعارَضَةِ حُجَّتِه، وفي الخطاب إشعارٌ بأهمّيَّة المقول المأمور بقولِه.

المواجهةُ بالحجَّة إلجاء للخصمِ إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة الحجَّة

### غرضُ فعل الأمر ﴿قُلْ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ الموجَّه إلى النَّبيِّ ﷺ الأمرَ بإلقاءِ الدَّليلِ عَلى إبطالِ الإشراكِ، وهوَ أصلُ ضَلالِهِم[2]، فإنَّ إلقاء الدَّليل بطريق القول من مناظِرٍ مواجِهٍ أقوى في الإلزامِ والإذعانِ، والقصد منه تبكيتهم وتوبيخهم[3].

إلقاءُ الدَّليلِ بطريقِ القولِ من مناظِرٍ مواجِهٍ أقوى في الإلزامِ والإذعانِ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 92.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 9.
(3) أبو السّعود إرشاد العقل السّليم: 8/ 77.

### نكتةُ حذفِ متعلّق فعل الأمر هو (لهم):

تعليمُ المؤمنين طريقة إلقاء الحجَّة على جميع المشركين

كان الظّاهر أن يقال: (قل لهم أرأيتم)؛ لأنَّ الكلام في معرض إلقاء القول للمشركين، ولكن حُذِفَ متعلَّقُ فعل الأمر ﴿قُلْ﴾؛ للإيماء إلى العموم، بمعنى: أنَّ هذا القول يقال لكلِّ مشركٍ بالله تعالى، وليس مختصًّا بقومِك المشركين من أهل قريش.

### نوع فعل (رأى):

المشركون إنَّما يعبدون معبوداتِهم عن تقليد بلا وعيٍ ولا تفكيرٍ

الظّاهر أنَّ الفعل (رَأى) يدلُّ على الرُّؤية العلميَّة المسبَّبة عن الرُّؤية البصريَّة؛ لأصنامِهم الَّتي كانوا يعبدونها، فهو من باب المجاز المرسل بعلاقة السَّببيَّة؛ لأنَّ أفضل وسيلة للعلم هي الرُّؤية، ويمكن أن يكون التَّعبير بالرُّؤية البصريَّة للرُّؤية العلميَّة في قوله: ﴿أَرَءَيْتُم﴾؛ ليكون على وجه الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة؛ لأنَّ المستفهمَ عنه بالرُّؤية يقصد به الاستفهام عن أحوالِ المرئيِّ وإناطة البصر بها، أي: إنَّ أمرَ المستفهَم عنه واضحٌ بادٍ لكلِّ من يراه[1]، ففي التَّعبير بفِعل الرُّؤية إشارة إلى أنَّ هؤلاء المشركين، كانوا في غفلة عن معبوداتهم تلك، وأنَّهم إنَّما يعبدونها عن تقليد، بلا وعيٍ أو تفكير[2].

### غرضُ الاستفهام في قوله: ﴿أَرَءَيْتُم﴾:

دعوةُ المشركين إلى التَّأمُّل في حقيقة معبوداتِهم؛ ليتَّضح لهم حالُها، وليعلموا بطلانَها

الاستفهامُ في ﴿أَرَءَيْتُم﴾ مجازيٌّ على معنى التَّقرير[3] المتولِّد منه التَّوبيخ[4]، فهو بمعنى أخبروني، وذلك على طريقة المجاز المرسل؛ لأنَّ الإخبارَ بالشّين ناشئٌ عن العلم به، وكأنَّ الكلام على تقدير أعلمتم علمًا جازمًا، بالنَّظر في حال معبوداتِكم في الخسَّة والهوان، فلا سبيل لكم إلّا الإقرار بأنَّهم لم يخلقوا شيئًا، فأخبروني عن ما تدعون من دون الله، وإنَّما قدَّر ﴿أَرَءَيْتُم﴾ على معنى أخبروني؛ لأنَّ الإخبار المسبَّب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 324.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 261.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 9.
(4) العليمي، فتح الرّحمن: 6/ 280، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 77.

عن الرُّؤية العلميَّة أو البصريَّة، لا سيَّما في مقام المناظرة والمحاجة في إثبات الألوهيَّة، لا يكون إلّا بالتَّأمُّل الصّادق، فَسِرُّ التَّعبير بالرُّؤية البصريَّة للرُّؤية العلميَّة في قوله: ﴿أَرَءَيْتُم﴾ - ليكون على وجه الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة - هو أمرهم أن يتفكَّروا في حالِ أصنامِهم، ويتأمَّلوا فيها؛ ليتَّضح لهم حالُها وحقيقتُها من الحقارة والهوان حتَّى لكأنَّهم ينظرون إلى حقارتِها نظر العين؛ ليكون الاستفهام تمهيدًا لما بعده؛ ليكون كالدَّليل عليه بعد وضوحِه وبيانِه، ففي الاستفهام التَّقريريِّ إيماءٌ إلى طلبِ التَّأمُّل منهم، وأن يعيدوا النَّظر في معبوداتهم تلك، وأن يتحقَّقوا من صفاتها، وما تملك بين أيديها من قوًى، والقصد من مجيء الاستفهام على سبيل التَّقرير هو إثبات شركِهم باللّٰه تعالى، ففيه توبيخ لهم مع إقرارِهم؛ ليكون تمهيدًا للمناظرة وإقامة الحجَّة عليهم.

### دلالةُ التَّعبير بصيغة الماضي (رَأيتُم):

عبَّر بصيغة الفعل الماضي (رَأيتُم)؛ للإيذان بوقوع رؤيتِهم وتحقُّقها؛ لأنَّ الاستفهام مجازيٌّ على معنى تقرير وقوع رؤيتِهم.

### نوع ﴿مَّا﴾ ودلالة استعمالها:

﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ من ألفاظ العموم؛ ليشمل كلَّ ما يدعون من دون اللّٰه، وعبَّر بـ﴿مَّا﴾ الَّتي لغير العاقل؛ للإشعار بأنَّ كلَّ إلهٍ مع اللّٰه تعالى يدخل في دائرة غير العاقل، ويدخل في اللَّفظ الأصنام الَّتي كانوا يعبدونها دخولًا أوَّليًّا؛ تقريرًا لحالِها التي هي عليها من الجماد الَّذي يظهر فيه أنَّه لا يضرُّ، ولا ينفع.

**كـلُّ إلـهٍ يُعبَد سوى الله تعالى يـظـهـر بـطـلانـه بقليل من التَّأمُّل والتَّفكير**

### بلاغةُ استعمال مفردة ﴿تَدْعُونَ﴾ دون تعبدون:

عبَّر بقولِه: ﴿تَدْعُونَ﴾ على سبيل المجاز المرسل من إطلاق المسبَّب، وهو الدُّعاء، وإرادة المسبِّب، وهو العبادة، وسبب العدول إلى المجاز دون أن يقال: (أرأيتم ما تعبدون من دون اللّٰه) هو الإشعار بأنَّ دعاء الأصنام عبادة لها، وشرك به سبحانه، ويدخل فيه دعاء

كلِّ ما هو من دون الله تعالى، وفي العدول إلى المجاز إيماءٌ إلى أنَّه ليس المقصود من العبادة الرُّكوع والسُّجود للمعبود فقط، بل دعاؤُه والطَّلب منه على سبيل تعظيمِه وتأليهه عبادة له كذلك، وعلى هذا فيكون المراد من الدُّعاء المعنى الأعمَّ الَّذي يشمل الحقيقة والمجاز، أي: الدُّعاء والعبادة، فيكون من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز بلفظ واحدٍ.

دعاءُ ما سوى الله تعالى والطَّلب منه على سبيل تعظيمِه وتأليهه عبادة له

### دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع ﴿تَدۡعُونَ﴾:

عبَّر بصيغة المضارع ﴿تَدۡعُونَ﴾؛ للإشعار بتكرُّر دعائِهم لأصنامِهم وتجدُّده منهم، فهُم لا يكفّون عن دعائِها، ولا ينفكّون عنه، كما أنَّ في التَّعبير بصيغة المضارع تصويرًا لقبحِ حالِهم، وهم يدعون ما هو من دون الله.

التَّعبيرُ بالفعل المضارع هنا قد يكون للتَّجدُّد الاستمراريِّ ولاستحضار الصّورة

### فائدةُ حذفِ مفعول ﴿تَدۡعُونَ﴾:

حُذِفَ مفعولُ ﴿تَدۡعُونَ﴾؛ لتقرير عموم الاسم الموصول، كما أنَّ في الحذف إشعارًا بهوانِه وضعتِه بحيث ينبغي ألّا يُذكَر لولا مقام الاستدلال والتَّنبيه إلى تركِ دعائِه وعبادتِه.

### نوع ﴿مِن﴾ ودلالتها:

﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بيان للاسم الموصول في قولِه: ﴿مَّا تَدۡعُونَ﴾؛ لتفيد ﴿مِن﴾ البيانيَّة أنَّ المراد بـ﴿مَّا﴾ العموم، فيشمل كلَّ ما هو سوى الله تعالى.

### نكتةُ استعمالِ الظَّرف ﴿دُونِ﴾:

عبَّر بالظَّرف ﴿دُونِ﴾ في معرض بيان الاسم الموصول ﴿مَّا﴾؛ للإيذانِ بأنَّ كلَّ ما سوى الله تعالى هو دونَه، ففيه إشارة إلى سفول كلِّ ما يُتَّخذ إلهًا من دونه سبحانه، فلا يصل أيُّ معبودٍ إلى ألوهيَّة الله تعالى وعلوِّهِ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه.

لا يصل أيُّ معبودٍ إلى ألوهيَّة الله تعالى وعلوِّهِ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه

### دلالةُ التَّعبير باسم الجلالة:

عبَّر بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ المقام مقام إثبات للألوهيَّة وردع عن الشِّرك، فناسب التَّعبير بالاسم الجليل، فإنَّ لكلِّ كلمةٍ في القرآن مع صاحبتِها مقامًا يناسبها، ويطلبها.

### بلاغةُ الفصلِ في قوله: ﴿أَرُونِي﴾ بين معنى التَّأكيد وبدل الاشتمال:

الفصلُ لكمال الاتِّصال بين الجملتَيْن

جاءت جملة ﴿أَرُونِي﴾ بطريق الفصل، فيُحتمل أن تكون تأكيدًا لجملة ﴿أَرَءَيْتُم﴾؛ لأنَّها بمعنى أخبروني[1]، فإنَّ الإراءة إخبار كذلك، فيكون قوله: ﴿أَرُونِي﴾ تصريحًا بما كنّى عنه في قوله: ﴿أَرَءَيْتُم﴾[2]، ويحتمل أن تكون بدل اشتمال من جملة ﴿أَرَءَيْتُم﴾[3]، بمعنى أنَّ الإراءة نوع مشتمل على الإخبار، وعلى كلا الوجهين فإنَّ جملةَ ﴿أَرُونِي﴾ مسوقة للتَّعجيز والتَّبكيت؛ لقصد إثبات الحجَّة عليهم وإذعانِهم وتسليمِهم، كما تحتمل أن تكون تفصيلًا لِما أُجمل في الاستفهام التَّقريريِّ.

### فنُّ بديع الجناس:

عجزُ الآلهة التي تُتَّخذ من دون الله واضحٌ لكلِّ راءٍ

جاء الجناس في الفعلين ﴿أَرَءَيْتُم﴾ و﴿أَرُونِي﴾؛ ليكون من لَبِنات المناظرة والمحاجة، فإنَّه بَنى على تحقُّق رؤيتِهم ووقوعِها الأمر بإراءَته؛ للإيذانِ بظهور عجز آلهتهم وأصنامِهم الَّتي يعبدونها، وكأنَّ المعنى لا أطلب منكم إلّا أن تروني ما رأيتموه؛ لأنَّ ما يرونه من عجز آلهتِهم واضح لكلِّ راءٍ.

### غرضُ فعل الأمر ﴿أَرُونِي﴾ في الاستدلال:

اللهُ تعالى هو المتفرِّد بالخلقِ، وغيره لا يستطيع أن يخلق شيئًا

الغرضُ من التَّعبير بفعل الأمر ﴿أَرُونِي﴾ هو تعجيز المشركين؛ إذ لا يستطيعون أن يروه شيئًا خلقته الأصنام، ففي الأمر التَّعجيزي استدلال في قوَّة نفي أن يكونوا قد خلقوا شيئًا ما، وفيه إثبات

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 77، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 452.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 9.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 163.

لعجزِهم عن الخلقِ أصلًا، بمعنى: أنَّهم لم يخلقوا شيئًا، ولا يستطيعون أن يخلقوا أصلًا.

**بلاغةُ المجازِ في الفعل ﴿أَرُونِي﴾:**

عبَّر بالفعل ﴿أَرُونِي﴾ على طريق المجاز عن الإعلام والإنباء، أي: أنبئوني شيئًا مخلوقًا للَّذين تدعون من دون اللّه في الأرض، وسبب العدول إلى المجاز بلفظ الرُّؤية هو أنَّ الأمور تكون عن طريق الرُّؤية أوضح وأظهر، وليكون بناء الدَّليل موافقًا للمقدِّمة في قولِه: ﴿أَرَءَيْتُم﴾، أي: قد رأيتم، فأروني.

لمّا كان الإخبار بالشَّيء ناشئٌ عن العلم به، والعلم به ناشئٌ عن الرُّؤية له؛ كان ذلك آكد في الإخبار

**بلاغةُ المحاججة في الانتقال من الاستفهام إلى الأمر:**

جاء الأمر ﴿أَرُونِي﴾ بعد الاستفهام ﴿أَرَءَيْتُم﴾؛ لأنَّ الاستفهام قُصِد منه تقريرُهم، وطلبُ التَّأمُّلِ منهم في حقيقة الأصنام، وكونِها جمادًا لا تضرُّ، ولا تنفعُ؛ ليكون الكلامُ تمهيدًا للإجابة عمّا يُسألون عنه في شأن معبوداتِهم، فكأنَّه بعد ما تقرَّر من رؤيتِهم وعلمِهم بحقيقة أصنامِهم؛ انتقل الكلام إلى أسلوب الطَّلب؛ ليتحقَّق عجزهم عن الجواب وإذعانِهم لبطلان شركِهم ومعتقدِهم، ولإثبات وحدانيَّة اللّه تعالى، وهَذا من رُؤوس مَسائِلِ المُناظَرَةِ، وهوَ مُطالَبَةُ المُدَّعي بِالدَّليلِ عَلى إثباتِ دَعواهُ[1].

من أساليب المحاججة في القرآن مُطالَبَةُ المُدَّعي بِالدَّليلِ على إثباتِ دَعواهُ

**غرضُ الاستفهامِ بأداة ﴿مَاذَا﴾:**

الاستفهام في قولِه: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾؛ للإنكار الوقوعي المضمَّن معنى التَّوبيخ، قصد منه تحقيق تعجيزهم، وفي هذا الاستفهام كناية عن سلبِ مؤهِّلاتِ الألوهيَّة عن كلِّ ما سوى اللّه تعالى أرضيَّةً كانت بطريق الخلقِ، أم سماويَّةً بطريق السُّلطان والقوَّة.

الاستفهامُ يأتي أحيانًا مجازًا عن الإنكار والتَّعجيب

**دلالةُ استعمال مفردة ﴿خَلَقُواْ﴾:**

عبَّر بلفظ ﴿خَلَقُواْ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ الذي يستحقُّ الدُّعاء

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 9.

والعبادة هو الخالق، وأنَّ أقوى دليل على استحقاق وصف الألوهيَّة هو القدرة على الخلقِ والإيجاد من العدم، ففي التَّعبير بقولِه: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾ استدلالٌ على بطلانِ ألوهيَّة الأصنامِ بطريق نفي اللّازم العقليِّ؛ لأنَّ من لوازم المعبودِ عقلًا العلم بكونه خالقًا[1]، فإذا انتفى كونه خالقًا؛ انتفى كونه معبودًا.

أقوى دليل على استحقاق وصف الألوهيَّة هو القدرة على الخلقِ والإيجاد من العدم

**نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة ﴿خَلَقُواْ﴾:**

عبَّر بصيغة الماضي في قوله: ﴿خَلَقُواْ﴾ الدالِّ على انتفاء وقوع خلقِهم؛ لأنَّ المقام مقام استدلال، فاقتضى التَّعبير بصيغة الماضي؛ للإيذان بتحقُّق انتفاء خلقِهم، وفيه إشارة إلى أنَّه تعالى هو المستحقُّ للعبادة وحده؛ لأنَّه هو الَّذي خلقَهم، وخلق كلَّ شيءٍ.

اللهُ تعالى تعالى هو المستحقُّ للعبادة وحده؛ لأنَّه هو الَّذي خلق كلَّ شيءٍ

**تعيينُ مرجعِ الضَّمير في فعل ﴿خَلَقُواْ﴾:**

عبَّر بصيغة ضمير العالم أو العاقل في قولِه: ﴿خَلَقُواْ﴾ العائد إلى الاسم الموصول (ما)؛ ليفيد أنَّ المرادَ من الاسم الموصول معنى الجمع، ففيه إثباتٌ لتعدُّد آلهتِهم، وكان الظّاهر أن يقال: ماذا خلقت من الأرض، وسبب العدول إلى ضمير العقلاء تبكيت المشركين وتجهيلهم، فكأنَّ المعنى: إنِ ادَّعيتم لها الخلق، واعتقدتموه؛ فإنَّها ستكون في مصافِّ من يتَّصف بالعلم، والحال أن لا عقل لها، ولا علمَ تتَّصف به، ففي التَّعبير بضمير العقلاء تهكُّم بالمشركين في عبادتِهم للجمادات.

عبادةُ الجماداتِ يدعو إلى التَّهكُّم بعابديها

**نوع ﴿مِنَ﴾ ودلالتها:**

تحتمل ﴿مِنَ﴾ أن تكون بيانًا لاسم الاستفهام ﴿مَاذَا﴾ بمعنى: ماذا خلقوا من أجزاء الأرض؛ ليفيد حرف الجرِّ ﴿مِنَ﴾ بيان الجهة المراد إنكار تأثير أصنامِهم فيها بقرينة مقابلتها

(1) البسيليّ، نكت وتنبيهات: 3/ 510.

بالسَّماوات[1]، وتحتمل أن تكون ابتدائيَّة بمعنى: أروني شيئًا خلقوه ناشئًا من الأرض[2].

**فائدة (ال) في قوله: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:**

(الـ) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ للعهد على معنى الأرض المعروفة لديهم، والَّتي يعيشون عليها، ويمكن أن تكون لتعريف الجنس، بمعنى جنس الأرض الَّتي هم عليها.

**دلالةُ إبطالِ أن يكون لما سوى الله تعالى خلقٌ:**

نفيُ الألوهيَّةِ عن معبوداتهم بطريق الحجَّة العقليَّة أبلغ في الرَّدِّ

جاءت المحاجَّة في نفي ألوهيَّة ما سوى الله تعالى بإبطال أن يكون لآلهتهم خلقٌ في الأرض، وذلك في قوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّه إذا لم يكن شَيءٌ مِنَ الأرضِ مَخلوقًا لَهُم؛ بَطَلَ أن يَكونوا آلِهَةً؛ لِخُروجِ المَخلوقاتِ عَن خَلقِهِم، وإذا بَطَلَ أن يَكونَ لَها خَلْقٌ؛ بَطَلَ أن يَكونَ لَها تَصَرُّفٌ في المَخلوقاتِ، فبطلت ألوهيَّتها[3].

**نوع ﴿أَمْ﴾ ودلالتها الإضرابيَّة:**

قد تأتي (أم) متَّصلة أو منقطعة تفيد الإضراب

﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ منقطعة تفيد الإضراب الانتقالي، بمعنى الإضراب عن السُّؤال السّابق، بعد أن عرف الجواب عنه، وهو الصَّمت والوجوم، وإنشاء لسؤالٍ آخر، فتكون ﴿أَمْ﴾ مؤذنةً باستفهام بعدها، وسبب مجيء ﴿أَمْ﴾ المنقطعة هو أنَّه بعد أن استفهم في قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾، وعرف الجواب عنه، وهو الصَّمت والوجوم؛ استفهم عن أمرٍ آخر، فربَّما وجد المشركون جوابًا له، بعد أن عجزوا عن الإجابة عن السُّؤال الأوَّل، وهذا بقصد التَّعجيز عن الجواب.

**غرضُ الاستفهام المقدَّر بعد ﴿أَمْ﴾:**

في مجيء ﴿أَمْ﴾ المنقطعة إيذانٌ باستفهام بعدها، وتقدير

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 432، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 77.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 325.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 10.

الكلام: بَل أَلَهُم شِركٌ فِي السَّماواتِ، بمعنى: ليس لهم شركٌ مع اللّه في السَّماوات[1]، فهو استفهام إنكاريٌّ، وفي مجيء ﴿أَمْ﴾ ترقٍّ في التَّعجيز لقرب الأرض منهم، بمعنى: إذا ثبت أنَّهم لم يخلقوا شيئًا من الأرض؛ فأن يعجزوا عن أن يكونَ لهم شركٌ في السَّماوات أولى وأظهر، وذلك لِبُعد السَّماوات عنهم.

ثبوتُ عجز الآلهة عن خلق ما في الأرض يدلُّ على عجزِه عن خلق ما في السَّماوات بطريق الأولى

**نكتةُ تقديم ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿شِرْكٌ﴾:**

قُدِّمَ المسندُ من الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المسند إليه ﴿شِرْكٌ﴾؛ لنفي أيِّ شرك للأصنام؛ لأنَّ تقديمَ الخبرِ على المبتدأ في سياق الإنكار المقتضي للنَّفي يفيد عموم انتفاء الشِّرك في السَّماوات، كما أنَّ تقديم شبه الجملة الَّتي تحوي ضميرًا يعود عليهم، إنَّما هو لأنَّ مدار الحديث كان عنهم وعن شركهم باللّه.

**دلالةُ مجيء ﴿شِرْكٌ﴾ مصدرًا:**

عبَّر بصيغة المصدر في قوله: ﴿شِرْكٌ﴾؛ للإشارة إلى نفي أيِّ نوعٍ من أنواع الشِّرك، فإنَّ نفي المصدر يستتبعه نفي الأنواع جميعها.

**نكتةُ ذِكر انتفاء الخلق مع الأرض وانتفاء الشِّرك مع السَّماء:**

دعـوى خلـقِ شيءٍ من عوالمِ السَّماواتِ أكبرُ من أن يَتَّسِعَ لها ادِّعاءٌ

أوثِرَ انتفاء الخلق مع الأرض، وانتفاء الشِّرك مع السَّماوات في قولِه: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ دون أن يقال: (ماذا أشركوا في الأرض، أم لهم خلق في السَّماوات)؛ لقرب الأرض من أصنام المشركين، والقرب مظنَّة أن يكون لها في الأرض تأثير ذاتيٌّ، فإنَّهم كانوا يعبدونها على اعتبار أنَّ لها تأثيرًا في الخلقِ وتدبيرًا وتصريفًا فيه بالمدِّ بأسباب الحياة، وما ينزل عليهم من مطر، أو ينبت من نبات، كما أنَّ مَخلوقاتِ الأرضِ مُشاهَدَةٌ لِلنّاسِ، ظاهِرٌ تَطَوُّرُها وحُدوثُها، وأنّ لَيْسَ لِما يَدعونَهُم من دونَ اللّه أدنَى عَمَلٍ في إيجادِها، وأمّا السَّماوات؛ فلبعدها عنهم، واستبعاد أن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 325، و26/ 10.

يكون لها تأثير ذاتيٌّ للأصنام فيها ولعظيم سلطانِها وظهورِه، فالموجودات السَّماويَّة مَحجوبَةٌ عَنِ العُيونِ لا عَهْدَ لِلنّاسِ بِظُهورِ وجودِها ولا تَطَوُّرِها، فَلا يَحْسُنُ الاستِدلالُ بِعَدَمِ تَأثِيرِ الأصنامِ في إيجادِ شَيءٍ مِنها، ولكن لَمّا لَم يَدَعِ المُشرِكونَ تَصَرُّفًا لِلأصنامِ إلّا في أحوالِ النّاسِ في الأرضِ مِن جَلْبِ نفْعٍ أو دفْعِ ضُرٍّ، ولم يدَّعوا أن يكون لها تأثير في موجودات السَّماوات؛ اقتَصَرَ في نَفْيِ تَصَرُّفِهم في السَّماواتِ عَلى الاستِدلالِ بِنَفْيِ أن يَكونَ لِلأصْنامِ شَرِكَةٌ في أُمورِ السَّماواتِ[1]، ولهذا عبَّر بانتفاء الشِّرك عنها؛ لأنَّ الشِّرك يدلُّ على قوَّة السُّلطان، فناسب اقترانه بانتفاء الشِّرك بالسَّماوات، فإنَّ دعوى خلْقِ شيء من عوالم السَّماواتِ أكبر من أن يتَّسع لها ادِّعاء، على حين يمكن أن تدعى الشَّركة الدّالَّة على السُّلطان والقوَّة، وأن ينسج لها ثوب ملفَّق من الوهم والخيال؛ إذ لا يُطالب الشَّريك بالتَّصريف في شيء، منفردًا عن شريكه[2]، فالبلاغة في مجيء الكلام على مقتضى الحالِ، واعتبار مقام المخاطَبين بإنكار أن يكون للأصنام خلق في الأرض، وإنكار أن يكون لها شرك في السَّماوات.

**بلاغةُ الاحتباك في قوله:** ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾:

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الكلام على الاحتباك، بمعنى: أنَّه لم يذكر مع الأرض انتفاء الشِّرك اكتفاء بما ذكره مع السَّماوات، ولم يذكر مع السَّماوات انتفاء الخلق اكتفاء بما ذكره مع الأرض، أي: إنَّه حَذَفَ من الأوَّل بدلالة الثّاني عليه، وحَذَفَ من الثّاني بدلالة الأوَّل، فيكون نفي الخلق على الاستقلال مع نفي الشِّركة مع الله تعالى معتبر في الأرض والسَّماوات جميعًا، فترك في أحدهما ما ذُكِرَ في الآخر[3].

**بلاغةُ استعمالِ حرف الظَّرفيَّة:**

أوثرَ استعمالُ حرفِ الجرِّ ﴿فِي﴾ الدّالِّ على الظَّرفيَّة المكانيَّة؛ للإشعار بعموم التَّعلُّق الظَّرفي؛ ليشمل كلَّ ما يتعلَّق بالسَّماوات، والمعنى: أم لهم شرك في ملك السَّماوات، وفي خلقِها وفي تدبيرها؛ ليفيد أنَّه ليس لهم أي وجه من الوجوه فيما يتعلَّق بالسَّماوات.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 10.
(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 263.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 453.

**فائدة (ال) في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:**

(الـ) في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ للجنس، بمعنى جنس السَّماوات، وقد يُقصد بها العالم العلويُّ المقابل للأرض.

**غرضُ فعل الأمر ﴿ٱئۡتُونِي﴾:**

جاء فعل الأمر ﴿ٱئۡتُونِي﴾ على سبيل المجاز، والغرض من الأمر التَّعجيز، أي: تعجيزهم عن الإتيان بكتابٍ من قبل القرآن أو أثارة من علمٍ، ويتولَّد من التَّعجيز تبكيتهم وإلزامهم الحجَّة.

**سببُ إيثار الفصل في جملة ﴿ٱئۡتُونِي﴾:**

**استعمالُ القرآنِ لأسلوب إفحام الخصمِ في المحاجة**

أوثر الفصلُ في الجملة الفعليَّة ﴿ٱئۡتُونِي﴾؛ لِلانتقال إلى الدَّليل النَّقلي بعد تبكيتِهم بالتَّعجيزِ عن الإتيانِ بسندٍ عقليٍّ، فهو انتقال مِن الاستِدلالِ بالمُشاهَدةِ وبالإقرارِ، إلى الاستِدلالِ بالأخبارِ الصّادِقةِ، وهو استِدلالٌ على إبطالِ دَعوى المُدَّعي بانعِدامِ الحُجَّةِ على دَعواهُ، ويُسَمَّى الإفحامَ[1]، وفي الانتقال إلى الدَّليل النَّقلي إرخاءٌ للعنان وتوسيع للمجال على الخصم؛ لأنَّ الإتيان فيه سَعة في الانتظار، أي: إن كنتم في شكٍّ ممّا قلت: فقد أمهلتكم حتّى تأتوني بعد الاستقراء بِكِتابٍ فيه شيء من ذلك أو أثارَةٍ مِن عِلْمٍ[2]، وحيثُ لَم يقُم على دعواكم شيء من الدَّليل العقليِّ والنَّقليِّ، وقد قامَتْ على خلافِها أدلَّةُ العقلِ والنَّقلِ؛ تبيَّن بطلانها[3].

**بلاغةُ الاستعارة في فعل ﴿ٱئۡتُونِي﴾:**

جاء الفعل ﴿ٱئۡتُونِي﴾ على طريق الاستعارة لمعنى الإحضار، بجامع التَّحقُّق والتَّمكُّن من هذا المُحضر، والتَّقدير: أحضروا لي كتابًا من قبل هذا، وسبب العدول إلى الاستعارة الإيذان بعمومِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 111، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 10.
(2) النّيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 117.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 78.

عجزِهم عن الإتيانِ بكتابٍ بأيِّ طريقة من طرائق الإتيان، سواء أكان بإحضار كتابٍ أو بغيرِه.

### نوع الباء ودلالتها:

الباء في قولِه: ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ للملابسة، والمعنى: ائتوني بأيِّ كتابٍ إلهيٍّ ملابسٍ لكم، وتحتمل الباء أن تكون للمصاحبة، والمعنى: ايتوني بكتاب مصاحبٍ لكم.

### نكتةُ تنكير لفظ (كِتابٍ):

موافقةُ القرآن لسائر الكتب المنزَّلة في إبطال دعوى الإشراك بالله تعالى

لمّا كانت النَّكرة في سياق الأمر تفيد العموم؛ أفاد لفظ (كِتابٍ) العموم، والمعنى: ايتوني بكتاب واحدٍ من أيِّ كتابٍ إلهيٍّ من قبل القرآن؛ ليفيد تعجيزهم عن أن يكون في أيِّ كتاب قبل القرآن ما يثبت عقيدتهم الباطلة من أنَّ للأصنامِ خلقًا من الأرض، أو أن يكون لها شرك في السَّماوات، فوافق القرآن سائر الكتب المنزَّلة في إبطال دعواهم.

### نوع ﴿مِّن﴾ وفائدتها:

كلُّ الكتبِ الإلهيَّة شاهدة بوحدانيَّة الله تعالى

﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ ابتدائيَّة، ونكتة مجيء حرف الجرِّ ﴿مِّن﴾ دون أن يقال: (ايتوني بكتابٍ قبل هذا) النَّصُّ على عموم الأزمنة لجميع الكتب المنزَّلة، بمعنى: لا يوجد أيُّ كتابٍ من قبل القرآن يثبت مدَّعاكم، وتعجيزهم في عدم وجود أيِّ كتاب من قبل القرآن النّاطق بالتَّوحيد من أعلام النُّبوَّة ودليل صدقِها؛ لأنَّه أثبت أنَّ كلَّ الكتب الإلهيَّة شاهدة بالوحدانيَّة، ولو أتى بها آتٍ؛ لشهدت عليه[1].

### بلاغةُ استعمال الظَّرف ﴿قَبْلِ﴾:

أفادت الظَّرفيَّةُ القبليَّة إظهار عجزهم وإبطال حجَّتهم

لمّا كان الكلام في سياق المناظرة والمحاجَّة؛ كان من تمام المناظرة أن يسدَّ على المبطلين المعارضة؛ ليظهر العجز، ويتمَّ التَّسليم بالدَّليل، فوصف الكتاب الَّذي طولبوا بالإتيان به بوصف

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 18/ 125.

مخصَّصٍ له، وهو كونه من قبل القرآن؛ ليسدَّ عليهم باب المعارضة بأن يأتوا بكتابٍ يُصنَعُ لهم، كما قالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾ [الأنفال: 31].

### بلاغةُ الإدماج:

من بلاغة الكلام أن يحتمل المعاني العديدة

في التَّعبير بظرف الزَّمان ﴿قَبۡلِ﴾ بلاغة الإدماج في المعنى؛ لأنَّه لمّا قال: ﴿بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾؛ أفادَ إبطالَ أن يكون في أيِّ كتابٍ إلهيٍّ قبل القرآن ما يثبت مدَّعاهم؛ ليدمج فيه معنى آخر، وهو أنَّ آخر الكتب الإلهيَّة المنزَّلة هو القرآن الَّذي بين أيديهم، وأنَّ هذا القرآن ناطق بالتَّوحيد وإبطال الشِّرك، وأنَّه ما من كتاب أُنزل من قبله من كتب الله إلّا وهو ناطق بمثل ذلك[1].

### غرضُ استعمالِ اسم الإشارة للقريب كناية عن القرآن:

لو نظر المبطلون في القرآن، وتدبَّروا في آياتِه؛ لكفاهم في الاستدلال على أُلوهيَّة الله تعالى ووحدانيَّته

عبَّر باسم الإشارة ﴿هَٰذَآ﴾ كناية عن القرآن؛ للإشارة إلى أنَّه حاضرٌ في أذهانِ أصحابِ المحاجَّة، وهو بين أيديهم؛ فإنَّه يُقرَأُ عليهم مُعاوَدةً[2]، ففي إيراد اسم الإشارة توبيخٌ لهم، فإنَّه لقربِ القرآن منهم لو نظروا فيه، وتدبَّروا في آياتِه؛ لكفاهم في الاستدلال على أُلوهيَّة الله تعالى ووحدانيَّته وبطلان ألوهيَّة الأصنام والإشراك بها، كما أنَّ في التَّعبير باسم الإشارة إيماءً إلى القرآن باعتبار أخصِّ وصفٍ له، وهو كونه منزَّلًا من عند الله العزيز الحكيم، ويشير إليه سبقه بقولِه تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، فيكون المراد: ايتوني بكتابٍ منزَّلٍ من عند الله من قبل هذا.

### دلالةُ العطف بحرف ﴿أَوۡ﴾:

توسيعُ دائرة الاحتجاج لتعجيز المشركين وتكذيب دعواهم

أفاد حرفُ العطف تخييرَ المشركين في الإتيان بكتاب من قبل القرآن أو في الإتيان بأثارة من علمٍ، ولمّا كانت العادة في استعمال

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 295.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 10.

حرف العطف ﴿أَوْ﴾، أن يكون المعطوف عليه أقوى من المعطوف؛ أفاد التَّعبير بـ﴿أَوْ﴾ التَّنزُّل في الدَّليل، فإنَّه ذكر الأعلى، وهو الكتاب المنزَّل، ثمَّ سهَّل عليهم في الدَّليل، فنزل إلى ما دونه، وهو الأثارة من علم[1]؛ كنايةً عن انعدام الدَّليل الَّذي يشهد لدعواهم، وللعلم بكذب المدَّعى[2]، ففي مجيء المعطوف بعد ﴿أَوْ﴾ تَوسيعٌ عليهم في أنواعِ الحُجَّةِ؛ لِيَكونَ عَجْزُهم عن الإتيانِ بشَيءٍ مِن ذلك أقطَعَ لِدَعواهُم[3]، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ حرف العطف ﴿أَوْ﴾ في الآية لمنع الخلوِّ، بمعنى تعجيزِهم في أن يأتوا بواحدٍ منهما، أو في أن يأتوا بالاثنين معًا، وذلك للمبالغة في تعجيزهم وتبكيتِهم.

### بلاغةُ استعمال مفردة ﴿أَثَرَةٍ﴾:

كلام أهل اللُّغة في كلمة ﴿أَثَرَةٍ﴾ يدور على ثلاثة أقوال، **الأوَّل:** اشتقاقها من أثرت الشَّيء أثيره إثارة، كأنَّها بقيَّة تُستخرج، فتُثار، والمعنى: بقيَّة من علمٍ يؤثر عن الأوَّلين، **والثّاني**: من الأثر الَّذي هو الرِّواية، أي: ما يؤثر، ومنه سُمّيت الأخبار بالآثار، **والثّالث**: من الأثر بمعنى العلامة، ولا مانع من حمل اللَّفظ على المعاني الثَّلاثة، لا سيَّما أنَّ لفظ ﴿أَثَرَةٍ﴾ نكرة جاء في سياق الأمر، فيفيد العموم، وهو المناسب لمقام التَّنزُّل في الدَّليل؛ ليكون أثبت لعجزِهم، والمعنى: أو بقيَّة من علمٍ مأثور عن الأوَّلين، أو أيِّ خبرٍ يؤثر عن السّابقين، أو أيِّ علامة صحيحة واضحة، وسرُّ التَّعبير بلفظ ﴿أَثَرَةٍ﴾ دون غيرِه هو أنَّ الأثارة فيها معنى التَّخصيص، ومنه قولهم: أثرت فلانًا بكذا، أي: خصصته به، واستأثر فلان بكذا؛ إذا اختصَّ به دون غيره، فيكون المعنى: ائتوني بعلم تنفردون به دوننا، وقد خصَّصتم به،

**لا مانع من حمل اللَّفظ على المعاني الثَّلاثة البقيَّة، الرِّواية، الأثر**

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 125.
(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 17/ 397.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 10.

فإنّا لا نعلم أنَّ للّه شريكًا[1]، ففي التَّعبير بالأثارة تكذيبٌ لهم وبراءة من قولِهم، وقيل: المُرادُ بالأثارةِ: الخَطُّ في التُّرابِ، وذلك شَيءٌ كانت العرَبُ تَفعَلُه، وتَتكهَّنُ به، وتَزْجُرُ، وهو علم مشهور بينهم، فيَكونُ مِن بابِ التَّهكُّمِ بِهم وبأقوالِهم ودلائلِهم[2].

**نكتةُ تنكير لفظ ﴿أَثَرَةٍ﴾:**

جاء لفظ ﴿أَثَرَةٍ﴾ نكرة للتَّقليل، بمعنى: أيُّ أثارة من علم، وإن كانت الأثارة قليلة؛ ليفيد تعجيزهم عن قليل الأثارة فضلًا عن كثيرها.

**نكتةُ تنكير لفظ ﴿عِلْمٍ﴾:**

جاء لفظ ﴿عِلْمٍ﴾ نكرة؛ لتقرير التَّقليل المفاد من لفظ ﴿أَثَرَةٍ﴾، والمعنى تقليل الأثارة من أيِّ علمٍ، وإن كان قليلًا، ووجه تقييد الأثارة بوصف كونِها ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ التَّنبيه إلى أنَّ المحاجَّة قائمة على العلم، وليس على الدَّعوى من غير بيِّنةٍ.

الاستدلالُ القرآنيُّ قائمٌ على العلم، وليس على الدَّعوى من غير بيِّنة

**نكتةُ استعمالِ ﴿إِن﴾ دون (إذا):**

عبَّر بأداة الشَّرط ﴿إِن﴾ دون (إذا)؛ للإيذان باستحالة صِدقِ المشركين في دعواهم أنَّ آلهتهم مستحقَّة أن تُعبدَ؛ لأنَّ ﴿إِن﴾ تُستعمل في الشَّرط الَّذي يستحيل وقوعه، ففي استعمال ﴿إِن﴾ إلهابٌ للمشركين وإفحامٌ لهم بأنَّهم غيرُ آتينَ بحُجَّةٍ؛ لا مِن جانبِ العقلِ، ولا مِن جانبِ النَّقلِ المَسطورِ أو المأثورِ[3].

إلهابُ المشركين وإفحامُهم لعدم قدرتهم على الإتيان بدليلٍ عقليٍّ أو نقليٍّ على دعواهم

**دلالةُ التَّعبير بتركيب ﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:**

في التَّعبير بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في سياق تكذيبِهم في دعواهم مبالغةٌ في نفي صدقِهم، ونفي كينونتهم في أن يكونوا صادقِين، فقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أبلغ في نفي صِدقِهم من

الصِّدق في الدَّعوى لا يثبت إلّا ببرهانٍ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 160 - 161.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 7، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 432.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 11.

أن يقـال: إن صدقتم، كما أنَّ في التَّعبير القرآنيِّ رعايةً للفاصلة ورؤوس الآي.

### دلالةُ استعمال مفردة ﴿صَٰدِقِينَ﴾ مادَّة وصيغة:

نفى أن يكونَ الصِّدق ملازمًا للمشركين

لمّا جاء التَّعبير بلفظ ﴿صَٰدِقِينَ﴾ في سياق شرط مؤذن باستحالة صِدقِهم في دعواهم؛ دلَّ على أنَّهم كاذبون في دعواهم، فأفاد التَّعبير استحالة صِدقهم وتحقُّق كذبِهم، وعبَّر بصيغة اسم الفاعل؛ للإيماء إلى اتِّصافِهم بالضِّدِّ، وهو الكذب، حتّى صار وصفًا ملازمًا لهم، والمعنى: أنَّكم كاذبون.

### غرضُ حذف متعلَّق ﴿صَٰدِقِينَ﴾:

من ادَّعى الآلهة مع الله تعالى، وعبدها لايستحقُّ أن يوصف بالصِّدق، وإن كان صادقًا في غير هذه الدَّعوى

حُذِفَ متعلِّق الاسم المشتق ﴿صَٰدِقِينَ﴾، وتقدير الكلام: إن كنتم صادقين في دعواكم، وسبب حذف المتعلِّق إفادة عموم النَّفي، أي: نفيُ صِدقِهم مطلقًا، فإنَّ من ادَّعى الآلهة مع الله تعالى، وعبدها لايستحقُّ أن يوصف بالصِّدق، وإن كان صادقًا في غير هذه الدَّعوى، كما أنَّ في حذف المتعلِّق رعاية للفاصلة ومناسبة رؤوس الآي.

## ❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

### أثارة وبقيَّة:

الفرق بينهما هو أنَّ الأثارة بقيَّة من شيءٍ تقدَّم لايزال يروى، ويذكر، ففيه معنى التَّفخيم والتَّبجيل؛ لأنَّ الأثارة مأخوذة من الأثر المحفوظ، ومنه: مآثِرُ العَرَبِ: مكارِمُها ومفاخِرُها الَّتي تُؤثَر عَنها، أي: تُذْكَر، وتُرْوى، وفي الأثارة معنى البقاء والثَّبات والرُّسوخ والدَّلالة، ومنه قولهم: أَثَرْتُ البعيرَ: جعلت على خُفِّه أُثْرَةً، أي: علامة تؤثِّر في الأرض؛ ليستدلَّ بها على أثره، وكلُّ ما يُروى أو يُكتب، فيبقى له أثر؛ فهو أثارة، وأمّا البقيَّة؛ فهي تدلُّ على وجود الشَّيء

الأثـارةُ فيها معنى الرُّسوخ مع روايتها وتفخيمها والبقيَّة ليست كذلك

ودوامه من غير دلالة على رسوخ أو ثبات، ولا يدلُّ لفظ البقيَّة على روايتِه وذكرِه بين النّاس، كما لا يدلُّ على التَّبجيل، أي: يقال للشَّيء: بقيَّة سواء كان فيه معنى التَّبجيل أم لا، والبقاء ضدُّ الفناء[1].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (أثر، بقي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"